Vernacular Architecture and Participatory Design: an Approach to Enhance Attachment and Self Continuity in Intercultural Communities

العمران الشعبي والتصميم التشاركي: نحو منهجية لتعزيز الاحساس بالانتماء و تحقيق التواصل النفسي في المجتمعات العمرانية المركبة

عاهد حلس

Ahed Helles

قسم الديكور والتصميم الداخلي، جامعة الاقصى، غزة، فلسطين
Department of Décor and Interior Design, Al-aqsa University, Gaza, Palestine

بريد الكتروني: ah.helles@alaqsa.edu.ps

تاريخ التسليم: (2019/5/2)، تاريخ القبول: (2019/11/27)

ملخص

رغم تعدد تيارات ما بعد الحداثة المعمارية الا ان فلسفة العملية التصميمية التي تتبناها هذه الاتجاهات لا تخرج عن مسارين: التصميم المستند علي ابداع المعماري والتصميم المستند علي مشاركة المستخدمين، ويبرز البحث مشكلة عدم كفاءة كلا المسارين في تعزيز الشعور بالانتماء والتواصل النفسي في المجتمعات ذات البنية الثقافية المركبة، ويهدف البحث الي اقتراح منهجية في التصميم مستخلصة من ايجابيات العمران الشعبي والمتمثلة في التصميم التشاركي والتواصل مع اللاوعي الجمعي للمستخدمين للتناسب مع واقع المجتمعات العمرانية المركبة، وقد تحقق هذا الهدف وفقا لمنهج وصفي تحليلي ارتكز علي ثلاثة محاور: اولا؛ دراسة مفهوم التواصل النفسي والانتماء ودراسة وتحليل النهج التصميمي في المجتمعات التقليدية ورصد الركائز التي كفلت لهذا العمران تحقيق التواصل النفسي والانتماء عند المستخدمين، ثانيا؛ الوقوف علي اهم نظريات التصميم التشاركي المعاصرة في العمارة وتحليلها وفقا للمرتكزات والمؤشرات المستخلصة من الاطار النظري، ثالثا؛ صياغة منهجية مقترحة لتطوير العملية التصميمية بما يتلاءم مع واقع المدن الكبرى والمجتمعات المركبة وقد خلص البحث الي مجموعة من النتائج منها: - ان التواصل مع الانسان والمكان والزمان يعتبر مؤشرا لتحقق المصداقية في النتاج البنائي وفي الوقت نفسه للإحساس بالانتماء. - ان المشاركة الشعبية امدت العملية البنائية بالرؤى التصميمة وبالتالي كانت من اهم ركائز تحقق مصداقية النتاج البنائي. - ان اليات المشاركة الشعبية والتواصل مع اللاوعي الجمعي للمستخدمين يمكن تطويرها لتلائم الحياة المعاصرة وواقع المجتمعات العمرانية المركبة.

الكلمات المفتاحية: الانتماء والتواصل النفسي، المجتمعات العمرانية المركبة، العمارة الشعبية، التصميم التشاركي، لغة النمط / الانساق، الحلم الجماعي.

Abstract

Although postmodern architecture encompasses several trends, the design process philosophies adopted by these trends can be categorized within two mainstreams: Creativity -based architect design, and participation-based community design. The research underscores the problem of inefficiency of both approaches concerning creating a sense of belonging, attachment, and self-continuity in societies with intercultural patterns. The research objective is to formulate and to propose a design approach to deal effectively with intercultural communities. The aim has been achieved through the use of a descriptive analysis methodology containing three themes: First, studying the correlation between attachment, self-continuity, and vernacular architecture. Second, signifying participatory design in contemporary architectural theories, and testing its validity for applying in intercultural societies as far as some indicators extracted from the research literature review are concerned. Third, developing a proposed methodology to suit big cities and intercultural societies. The research concluded with some relevant results such as: - Contaminating with human spiritual and physical needs, place and time is an indicator of the sense of credibility in the built environment and, at the same time, attachment and sense of belonging. - Community participation provided the construction process with the vision of design and thus was one of the most important pillars of the credibility of the construction product. - The mechanisms of community participation and continuity with the collective subconscious of users can be developed to suit contemporary life and multicultural communities.

Keywords: Self-continuity and attachment, Intercultural communities, Vernacular Architecture, Participatory Design, Pattern language, Collective Dreams.

مقدمة

يعتبر الاغتراب من المشكلات النفسية الابرز التي افرزتها الحياة المعاصرة؛ فالحياة المدنية وسرعة التحولات التي تشهدها المجتمعات في بنيتها الثقافية والاجتماعية وبروز المجتمعات المتعددة الثقافات بسبب الهجرات الطوعية والقسرية جعلت الفرد في حالة من الاغتراب عن واقعه وعن ذاته، وفي هذا الاطار ظهرت اتجاهات كثيرة ما بعد حداثوية دعت الى اعادة التواصل مع

الماضي لتدفئة النتاج العمراني المعاصر بالمضامين والمعاني والتغلب على المشكلات الاجتماعية والنفسية التي افرزتها عمارة الحداثة، وترى الدراسة ان هذه الدعاوي بهذا الفهم للمشكلة والعلاج اسقطت الجانب المتمثل في الاحساس بالعمارة باعتبارها نتاجا حضاريا معبرا عن تواصل الجماعة مع موروثها الثقافي ولا وعيها الجمعي واقتصرت على الاقتباس الشكلي والوظيفي. فالرؤى التنظيرية التي قدمتها عمارة ما بعد الحداثة لحل تلك المشكلات تنحصر في اتجاهين اساسيين: الاول ويقوم على استعادة التواصل مع الماضي من خلال الاقتباس والمحاكاة من الشكل والوظيفة من العمارة التاريخية (التصميم المستند علي ابداع المعماري)، والثاني محاكاة النهج التصميمي في العمارة التقليدية المتمثل في المشاركة الشعبية والتواصل مع اللاوعي الجمعي للمستخدمين (التصميم المستند على مشاركة المستخدم)، وابرز اصحاب هذا الاتجاه كريستوفر الكسندر في نظريته لغة الانساق The Pattern Language وعبد الحليم ابراهيم في نظرية الحلم الجماعي Collective Dream. وترى الدراسة ان الصعوبة في تطبيق طروحات الاتجاه الاول تنبع من ان الماضي ليس مشتركا بين السكان، فهم من اصول قومية مختلفة، كما ان اعادة التواصل مع الماضي وفق رؤية المعماري المصمم تجعل من المستخدم مستقبلا سلبيا لا يملك سوى التسليم بالواقع البنائي المصاغ من حوله، وهذه العملية في جوهرها تعتبر من وجهة نظر الدراسة امتدادا ضمنيا لنهج عمارة الحداثة واحد اسباب ازمتها.

المشكلة البحثية

تتلخص المشكلة البحثية في الحاجة الي تطوير منهجية جديدة في التصميم تعمل على خلق بيئة عمرانية تعزز الاحساس بالانتماء والتواصل النفسي\ الاستمراية الذاتية في المجتمعات ذات البنى الثقافية المتعددة Intercultural Communities وتحقق رضا المستخدمين وذلك في ظل ما تفرزه الحياة المعاصرة من مشكلات الاغتراب النفسي واضمحلال الهوية.

فرضيات الدراسة

يقوم البحث علي فرضيتين اساسيتين:

- ان العملية التصميمية التي افرزت العمران الشعبي تمتلك من الاليات والحلول ما يمكن الاستفادة منه في تطوير العملية التصميمية المعاصرة لتحقيق التواصل بين المستخدم والنتاج البنائي.
- ان النهج التصميمي الذي اقترحته كل من نظرية لغة الانساق والحلم الجماعي ليلائم البيئات الشعبية المعاصرة يتضمن قدرا من المرونة تسمح بإعادة تطويره والبناء عليه ليلائم المجتمعات العمرانية المركبة.

اهداف البحث

يهدف البحث الى اقتراح منهجية في التصميم مستخلصة من ايجابيات العمران الشعبي ومن النهج التصميمي المقترح في كل من نظرية لغة الانساق والحلم الجماعي تلائم واقع المجتمعات العمرانية المركبة.

اهمية الدراسة

حيث ان الكثير من المجتمعات المعاصرة تسير في اتجاه تعقد بنيتها الاجتماعية والثقافية بسبب عوامل كثيرة منها الانفتاح الاقتصادي والعولمة والهجرات الطوعية خصوصا بعد احداث الربيع العربي واستقبال عدد كبير من المدن العربية والاوربية لأعداد كبيرة من المهاجرين (وهي من المشكلات التي تنبه لها الاتحاد الاوربي في العام 2008 واطلق برنامج المدينة المتعددة الثقافات Intercultural city Program)، فان هناك حاجة ماسه لمراجعة السياسات العمرانية المطبقة في المجتمعات المركبة واطلاق البحوث العمرانية لتقديم الحلول لمواجهة مشكلات الاغتراب وضعف الاحساس بالانتماء والتواصل النفسي.

منهجية البحث

استند البحث علي المنهج الوصفي التحليلي والارتكاز على ثلاثة محاور:

1. دراسة مفهوم التواصل النفسي\ الاستمرارية الذاتية والانتماء ودراسة وتحليل النهج التصميمي في المجتمعات التقليدية ورصد الركائز التي كفلت لهذا العمران تحقيق التواصل النفسي والانتماء عند المستخدمين.
2. الوقوف على اهم نظريات التصميم التشاركي المعاصرة في العمارة وتحليلها وفقا للمرتكزات والمؤشرات المستخلصة من الاطار النظري.
3. صياغة منهجية مقترحة لتطوير العملية التصميمية بما يتلاءم مع واقع المدن الكبرى والمجتمعات المركبة.

التواصل النفسي والانتماء – مفاهيم

يعرف التواصل النفسي على انه احساس الفرد بان ماضيه متشابك مع حاضره وهو الاحساس بجذور الحاضر في قلب الماضي، هذا الربط الذاتي بين ماضي الفرد وحاضره يشكل اساس الهوية ويعطي شعورا بالاستقرار في كيان الفرد الذي يخضع باستمرار للتغيرات النفسية والجسدية. (Sedikides, C., Wildschut, T., Cheung, W, Routledge, C., Hepper, E. G.& Arndt, J. 2016)

والتواصل النفسي كما يعرفه ايتشلي (Atchley, 1989) هو مؤشر التكيف النفسي وهو مركب التجربة الانسانية للفرد، ويعرف الانتماء للمكان على انه الروابط العاطفية بين الانسان ومحيطه الاجتماعي والمكاني (Seamon in Manzo & DevineWright, 2013, p. 11).

وقد اشار سكانيل وجيفورد (Scannell & Gifford, 2010) الى ان الاحساس بالانتماء تؤثر فيه ثلاثة محددات هي: الاشخاص والمكان والخبرة التفاعلية (Process)، هذه العناصر تتشكل من عناصر اخرى اساسية والتي هي بدورها تتأثر بغيرها من العناصر كما هو موضح (شكل 1)، وبناء علي ذلك فان الانتماء يتحقق لدى اي مجموعة من الناس عندما يتحولوا الى جماعة ثقافية ترتبط فيما بينها بقواسم مشتركة مثل الدين والذوق والتاريخ والقيم والرموز فهذه جميعها تتجسد في النتاجات الابداعية لهذه الثقافة، وعلي المستوى الفردي فان الشعور بالانتماء ينبع من العناصر التي توقظ الذاكرة الفردية مثل الانجازات والتجارب والخبرات التي جرت في امكنة محددة (Scannell & Gifford, 2010). تشترك الطروحات السابقة في ان الاحساس بالانتماء للجماعة والمكان هو مؤشر للتواصل النفسي وهو نقيض الاغتراب الذي يطغى فيه الاحساس باللامعنى وعدم الرضا وهي ظاهرة نفسية مستجدة ومن افرازات الحياة المعاصرة.

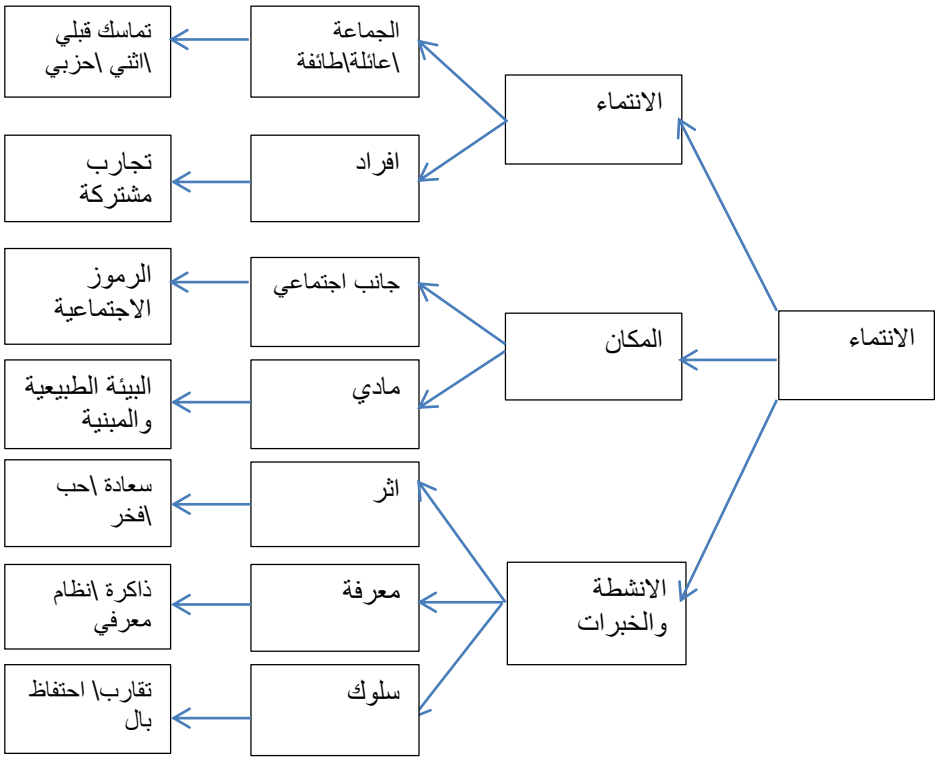

شكل (1): الانتماء للمكان والاشخاص يأتي كنتيجة للأنشطة الحياتية.

(المصدر: Kistmann & Keli, 2016).

ان الاحساس بالتواصل النفسي لا ينفصل عن الاحساس بالانتماء وفي ضوء ذلك فقد ادرج البحث المقررات الثلاثة التي وضعها كل من سكانيل وجيفورد كعوامل مؤثرة في الاحساس بالانتماء وهي المكان والاشخاص والخبرة التفاعلية، حيث سيتم الوقوف على علاقة العمارة التقليدية بهذه المقررات الثلاثة خلال البحث.

المجتمعات العمرانية المركبة ومشكلات ضعف الاحساس بالانتماء والتواصل النفسي

المجتمعات العمرانية المركبة هي المجتمعات التي تضم في نسيجها خليطا متنوعا وغير متجانس من الجماعات ذات الاصول الثقافية والدينية والعرقية المختلفة ويسمى هذا النوع من المجتمعات عند علماء الاجتماع بالمجتمع الجماهيري، وقد ظهر هذا النوع من المجتمعات كنتيجة لحركة التحضر السريع التي رافقت نمو النظام الرأسمالي وزيادة الدور الذي لعبته المدن كمولدات اقتصادية شكلت عامل جذب للهجرات الداخلية والخارجية وذلك في مقابل المجتمع المحلي البسيط المتسم بتجانس مكوناته الثقافية (البرغوثي، 1996)، ويرى علماء الاجتماع انه بالقدر الذي تمنح فيه المجتمعات العمرانية المركبة الفرد قدرا من الحرية الفردية فإنها تعمل على تذويب الثقافات والهويات الا انها تلقى بطريقة او بأخرى نوعا من المقاومة الثقافية والتي تنمو من قبيل مقاومة الاحساس بضياع الهوية والحنين الى الموطن الاصلي؛ فتظهر حالة من العجز عن التكيف مع ثقافة المدينة و نشوء ظاهرة "تريف المدينة" كما اشارت الى ذلك جانيت ابو لغد في دراستها لمدينة القاهرة او ظهور احياء تحمل اسم دول مثل الحي الصيني وحي الاتراك وحي المغاربة في مدينة مثل روتردام وغيرها، وهو من قبيل المقاومة التي يبديها السكان لقوى الابتلاع والتذويب الثقافي والتي تزداد شراسة بكبر حجم المدينة، وكلما ازدادت قوى التذويب الثقافي تصبح المدينة مكانا خصبا لحالات الذهان العصبي والتشظي الاجتماعي، وهنا تبرز الحاجة الى اعادة النظر في دور المعماري والمخطط الحضري في توفير قدر من الاحساس بالاستمرارية والتواصل لدى الفرد مع جوهره الانساني وصور ذاكرته الفردية والجمعية، وفي ظل افتقار المجتمعات المركبة الى التجانس يصبح السؤال المطروح امام المعماريين والمخططين هو: ما هي صورة المدينة التي يمكن ان تسهم في جعل الافراد بمختلف اصولهم الحضرية لا يشعرون فيها بالاغتراب ويشعرون بقدر من الانتماء اليها. ويفرض هذا السؤال تحديا يتمثل في التعارض بين هوية المدينة والهويات الثقافية للجماعات المشكلة لنسيجها الاجتماعي والتعارض بين ذاكرة المدينة المتجسدة في معمارها والذاكرة الفردية والجمعية لجماعات المهاجرين. (حلس، 2009، ص273). وفي هذا الاطار اطلق الاتحاد الاوروبي بالتعاون مع المفوضية الاوربية برنامج المدن متعددة الثقافات Intercultural Cities في العام 2008 بعضوية بدأت بما يقارب من 23 مدينة اوروبية من المدن التي تضم في نسيجها الاجتماعي نسبة عالية من المهاجرين، وكانت فكرة المدينة المتعددة الثقافات قد ظهرت في العام 2004 عندما اطلقت مؤسسة جوزيف رونتري البريطانية Joseph Rowntree Foundation برنامجا بحثيا لمدة عامين اثير من خلاله السؤال البحثي: هل التنوع الثقافي وعدم التجانس في النسيج الاجتماعي يمثل تهديدا وخطرا ام فرصة للانفتاح والتلاقح الثقافي والابداع (Phil & Jude, 2006)، والمدينة المتعددة الثقافات كما عرفها ا الاتحاد الاوربي في برنامجه هي التي تضم سكانا ذوي اصول مختلفة من حيث القومية او اللغة أو الدين / المعتقدات. وتقوم

فكرة البرنامج على استكشاف ايجابيات التنوع الثقافي والاثني في النسيج الاجتماعي كمصدر للنماء والتطور اذا ما تم ادارته بالشكل الصحيح، ويهدف البرنامج الى تحقيق تطوير السياسات العامة في المدن لاستثمار التنوع الثقافي وادارة الاختلاف وتحقيق التعايش السلمي والتفاعل الايجابي وتشجيع الاختلاط بين مكونات المجتمع في الاماكن العامة.

العلاقة بين ضعف الانتماء وعمارة الحداثة والمجتمعات العمرانية المركبة

الحداثة كما يراها ديفيد هارفي ظاهرة مدينيه بالأصل قامت في ظل علاقة متحركة ومعقدة مرتبطة بالانفجار السكاني والهجرة من الريف الى المدينة وحركة التصنيع والميكنة، ومن هنا كان دور المدينة بمجتمعها المركب في تشكيل الديناميات الثقافية لحركات الحداثة المتنوعة والتي ترعرع فيها مشروع التنوير الحداثي الذى قام على مسلمة مؤداها ان هناك اجابة صحيحة واحدة عن كل سؤال؛ وهى الرؤية الاحادية الشمولية للكون والتي تفترض بالتقدم الخطي المستقيم للتاريخ والتخطيط العقلاني للنظم الاجتماعية، وقد انعكس ذلك على العمارة بان ظهرت توجهات ونظريات متعاليه على الموروث الثقافي وتعلي من اهمية الرؤية العقلية والنفعية من منطلق ان البيت آلة للعيش كما قال بذلك لوكوربوزييه، (هارفي، 2005)، ومنذ ستينات القرن الماضي تعالت الاصوات الاعتراضية على هذا النهج فكان كتاب موت المدن الامريكية وحياتها لجاين جاكوبس باعتبار ان مدن الحداثة اصبحت تنتج الازمات النفسية والشواذ جنسيا والمشردين كما تنتج الشامبو ومساحيق التجميل (برغوثي، 1996)، وقد وصف هنري ميللر الحياة المدينيه كما صاغتها حركة الحداثة في المدن الامريكية بقوله: امريكا مليئة بالأماكن، اماكن فارغة وكل هذه الاماكن الفارغة مزدحمة، مضغوطة فقط بالأرواح الفارغة (كرانغ، 2005).

النتاج البنائي في المجتمعات التقليدية وتحقيق الاحساس بالانتماء والتواصل النفسي

يندرج النتاج البنائي للمجتمعات التقليدية تحت مسميات عدة منها:

العمارة البدائية Primitive، العمارة الدارجة Vernacular، العمارة التلقائية Spontaneous، العمارة الشعبية Folk Tradition، وعلى الرغم من تعدد هذه المصطلحات إلا أنها جميعاً تشير إلى المعني النقيض للعمران الرسمي او لعمارة الحداثة في المجتمعات الصناعية وما بعد الصناعية (Vellinga, 2005, p. 4)، كما تشير تلك المصطلحات الى ذلك النتاج البنائي الذي صاغته وأنتجته الجماعة كنتاج جماعي حضاري تتعلمه الأجيال ويمارسه المجموع مع بعض المساعدة من الحرفي، ويعتبر هذا النمط من البناء الأكثر صدقاً في التعبير عن ثقافة الجماعة وما تختزنه من الأساطير والرموز، كما تتميز بكونها ملبية للحاجات الروحية والاجتماعية لأفراد الجماعة بما يجعلهم في حالة من حالات الانسجام مع الطبيعة (الصاوي، 2004)، (Coch, 1998, p. 68). والعمارة الشعبية كما يشير روبنسون نتاج حضاري معرض للفقدان والضياع ما لم تتضافر الجهود لفهم الياته والمهارات اللازمة لإنتاجه وفهم معناه بالنسبة للمجتمعات التي انتجته وطورته علي مر السنين. هذا المعني الذي يجب ان يفهم خارج الثنائية الضدية الزائفة: "التقليدي والحداثي" والتي جعلت من التقليدي كيانا مستقلا يتم النأي به بعيدا عن ملوثات الحداثة (Robinson, 2006: 65).

العملية التصميمة في العمران التقليدي والتواصل مع اللاوعي الجمعي عبر آلية المشاركة الشعبية- الرموز كوسيلة اتصال بين الوعي واللاوعي الجمعي

كما سبقت الاشارة فان العمارة التقليدية ليست نتاج ابداع فردي ولكن ابداع جماعي، والعمارة بوصفها فنا كباقي الفنون تتضمن رموزا وتحمل مغزى حضاري فهي تشبه الاساطير في اليات تعبيرها عن عمق ثقافة الجماعة ولا وعيها:

"تاريخياً لم يكن الإنتاج الفني إنتاجاً فردياً بل جماعياً، إذ كانت الملاحم والأساطير جماعية يبتدعها المجتمع. كما كان المجتمع بأسره بانيا لصروح معمارية تتطلب تعاوناً أقصى بين الجماعات" (ابو عبيد، 1999 ص 128).

ويرى كارل يونج ان النتاج الفني لا يتحقق الا من خلال اتصال الوعي باللاوعي الجمعي، وهذا الاتصال يتم عن طريق الرمز والذي يظهر لا ارادیا في الاحلام والاساطير والرؤى الفنية والشعرية، فالمحتوى اللاشعوري الفعال وهو ما يسميه بالنماذج الأصلية Archetypes يطفو إلى مستوى الشعور في شكل صور رمزية لتعبر عن انفعال نفسي محدد.

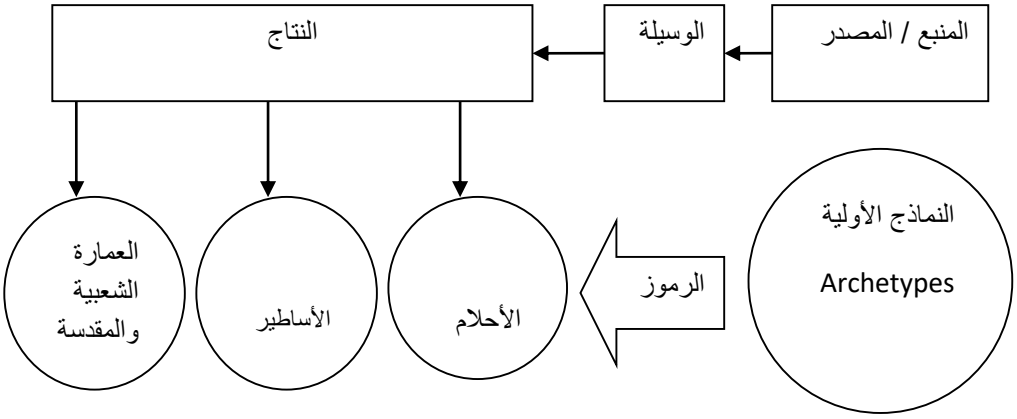

شكل (2): العلاقة بين النماذج الأولية كمنبع للرموز في الأحلام والأساطير والعمارة.

(المصدر: الباحث).

ويشير يونغ إلى ان النماذج العليا تخلق الأساطير والاحلام والفلسفات وأشكال الابداع المختلفة، فهي لها قوى خاصة، هذه القوى تمكنها من ان تقدم تفسيرا ذا معنى وان تتدخل في موقف معين باندفاعاتها وتشكيلاتها الخاصة للفكر (يونغ 1984، ص98).

يعطي رابوبورت (Rapoport, 1969) تفسيرا مشابها لتفسير يونج لنشأة الفنون، فهو يرى ان عملية التصميم في المجتمعات التقليدية هي بمثابة تعبير عن نموذج كامن في اللاوعي الجمعي يسمى بالنموذج البنائي Typology فمن خلال اللاوعي الجمعي وما يسقطه من أساطير في وعي

الجماعة صاغت الجماعة نماذج بنائية واستقرت عليها باعتبارها النماذج المثلى للإبداع Paradigmatic Models، واستمرت هذه النماذج البنائية تلبي احتياجات الأفراد باستثناء ما كان يجري عليها من تعديلات لتتطابق مع متطلبات كل عائلة مثل حجم المسكن والعلاقة بالموقع والمناخ والإمكانيات الاقتصادية المتاحة، وينتقل النموذج البنائي عبر الاجيال من خلال التقاليد التي تمتلك قوة القانون فهي تقبل وتطاع في المجتمع، وبذلك فإن نماذج وأنماط بنائية تلقى قبولاً دون سواها نظراً لملائمة هذه النماذج لرؤى وحياة الجماعة، وهذه النماذج "Typologies" يتم صياغتها من خلال التعاون بين البنائين والمستعملين عبر الأجيال، ولأن النموذج يصبح مشتركاً بين الجميع فإنه لا حاجة إلى الرسومات والمصممين، فالإنشاء بسيط واضح سهل الفهم (Rapaport, 1969, p.58).

ومن خلال هذا التصور لنشوء النموذج Typology يتضح دور اللاوعي الجمعي في عملية استيلاد النموذج وحفظه وتناقله عبر الأجيال، هذا التصور يؤكده تشابه البيوت في البيئة العمرانية التقليدية، فالأعراف البنائية الجمالية والرمزية والوظيفية تبقى ثابتة اذا ما وصلت الى صفة "الامثل" Optimal واذا فقدت هذه الصفة تغيرت (الخياط، 2001، ص43)، يضاف الي ذلك ان استقرار الرموز وتحولها إلى أعراف تعد من حاجات الانسان للتعامل الاجتماعي.

العلاقة بين مصداقية العمران وتحقيق الاحساس بالانتماء في المجتمعات التقليدية

يتناول البحث هنا الركائز التي كفلت للعمران الشعبي المصداقية وتعزيز الانتماء لدى المستخدمين ومن ثم تحديد ثلاثة مؤشرات لمصداقية النتاج وهي: التواصل مع الانسان؛ التواصل مع الزمان؛ التواصل مع المكان، وهذه المؤشرات تأتي بشكل متوازي مع المقررات الثلاثة لمخطط الاحساس بالانتماء والتي اشار اليها كل من سكانيل وجيفورد Scannell & Gifford (2010) وهي: المكان، الاشخاص، الخبرة التفاعلية / الزمان.

ركائز تحقق المصداقية في النتاج البنائي

وتتمثل في طبيعة الرؤى التصميمية والعملية التصميمة وكذلك المزامنة بين استشراف الرؤى التصميمية والعملية البنائية وذلك علي النحو التالي:

1. **الرؤى التصميمية:** اشار البحث الي ان الرؤى التصميمية في تلك البيئات ليست فردية بل جماعية تنبع من لاوعي الجماعة (الأساطير والمعتقدات الشعبية)، حيث كفلت جماعية المشاركة في العمل التصميمي بشكل متزامن مع عملية البناء تلقائية التعبير عن المخيلة والرؤى من قبل الجماعة المشاركة ويتم التعبير عن هذه الرؤى عبر عملية نشوء النموذج الكامن والتي تستغرق أحقابا طويلة حتى تصل الجماعة إلى النموذج المعبر عن لا وعيها الجمعي فترتضى به حينئذ وتتوارثه من جيل إلى جيل، وعبر هذه الآلية في العمل التصميمي تحققت للنتاج العمراني الشعبي مصداقيته في التعبير (Rapaport, 1969).
2. **العملية التصميمية / المشاركة الشعبية في عملية التصميم:** العملية التصميمية كما أشار رابوبورت (Rapaport, 1969) هي عملية ضبط وتعديل للنموذج، حيث يتم التفكير فيه

وضبطه أثناء عملية البناء نفسها التي تتم بمشاركة جماعية، هذا التزامن بين العمل التصميمي والبنائي يتيح للجماعة المشاركة أن تعبر بعفوية وتلقائية عن مخيلتها؛ فالعفوية والتلقائية في السلوك تعتبر من أوثق الوسائل التي تعتمدها بعض مدارس التحليل النفسي في الكشف عن خبايا اللاوعي لدى الفرد، ومن هنا تأتى أهمية التزامن بين العمل التصميمي والبنائي في التعبير عن لاوعي الجماعة.

3. **المزامنة بين مراحل البناء:** في العمارة التقليدية لا يوجد فصل زمني بين مرحلة الرؤى التصميمية ومرحلة التصميم ومرحلة البناء، فالثلاث مراحل تتم في ارض الموقع وبمشاركة من الجماعة مستحضرة النموذج التصميمي المتوارث من بواطن اللاوعي لتلائمه مع معطيات الموقع، حيث يجري عليه التعديل اثناء عملية البناء نفسها.

مؤشرات تحقق المصداقية في النتاج البنائي

يعتبر التواصل بين النتاج البنائي والمستخدم والمكان والزمان مؤشرا لصدق البناء (الصاوي، 1994). وفيما يلي يوضح البحث عوامل تحقق المصداقية والتواصل في النتاج البنائي التقليدي:

التواصل مع الإنسان / تلبية المنتج المعماري للحاجات المادية واللامادية للمستعملين

يتحقق التواصل بين النتاج البنائي والمستعملين من خلال استجابة البناء للحاجات الإنسانية بجانبيها المادي واللامادي. فقد بينت دراسات في مجال علم النفس البيئي ان ثلاثة عوامل تحدد مدى انتماء الانسان للمنتج التصميمي وهي الاحساس بالأمان والاحساس بالترابط الاجتماعي والاحساس بالراحة او الرفاهية (Kistmann & Keli, 2016).

1. **ملائمة المنتج المعماري للاحتياجات المادية للمستعملين:** حيث ينشأ عن إخفاق النتاج في تلبية الحاجات المادية للمستعملين حالة من عدم الرضا وضعف الانتماء والتواصل ناتجة عن عدم الاحساس بالراحة الجسدية
2. **ملائمة المنتج للاحتياجات اللامادية للمستعملين:** فاستجابة التصميم لمتطلبات الامان (الجسدي والنفسي) والعادات والتقاليد مثل استقبال الضيوف والخصوصية تنعكس على لغة التشكيل المعماري وتوزيع الفراغات الداخلية، مما يكفل تعزيز العلاقات الاجتماعية السليمة وتنميتها.

التواصل مع المكان ـ تواصل المنتج المعماري مع المكان أو المحتوى / Context

ويتحقق التواصل مع المكان من خلال تناغم العمران مع المكان بأبعاده المادية المتمثلة في البيئة الطبيعية واللامادية المتمثلة في روح وذاكرة المكان:

1. **تواصل المنتج المعماري مع البعد المادي للمكان / البيئة الطبيعية:** ان الإحساس بروح وذاكرة المكان لا يتحقق بمعزل عن احترام المحيط العمراني للمحيط الطبيعي، ذلك أن المحيط العمراني إذا ما جاء غريبا عن المحيط الطبيعي فإنه يعمل على تشتيت التجربة

المكانية التي تتيح للمستخدمين الإحساس بروح وذاكرة المكان، ويتحقق التواصل مع المكان من خلال استخدام مواد البناء المحلية واحترام المبنى لطبوغرافية الأرض وكذلك ما يتضمنه المبنى من المعالجات المعمارية والحلول المستجيبة للبيئة والتي تبرز خصوصيات المكان وتعمق الإحساس به.

2. **ملائمة المنتج المعماري مع البعد اللامادي للمكان:** ويقصد به ملاءمة المعاني والمضامين المحملة في المبنى مع المعاني وصور الذاكرة التي يحملها المكان[1] (Fried, 2000)

التواصل مع الزمان

ويقصد به الإحساس بالعمق الزمني من خلال:

1. توظيف النماذج العليا الكامنة في اللاوعي الجمعي في التصميم -
2. استخدام مواد البناء والتقاليد الحرفية المتوارثة
3. توظيف الرموز الثقافية ذات البعد التاريخي في لغة التشكيل المعماري والعمراني.

مخطط الاحساس بالانتماء وعلاقته بمؤشرات مصداقية النتاج البنائي

يوضح الشكل (3) المقررات الثلاثة التي يتشكل منها مخطط الاحساس بالانتماء حسبما اشارت البحوث في مجال علم النفس والمؤشرات الثلاثة لتحقق مصداقية البناء.

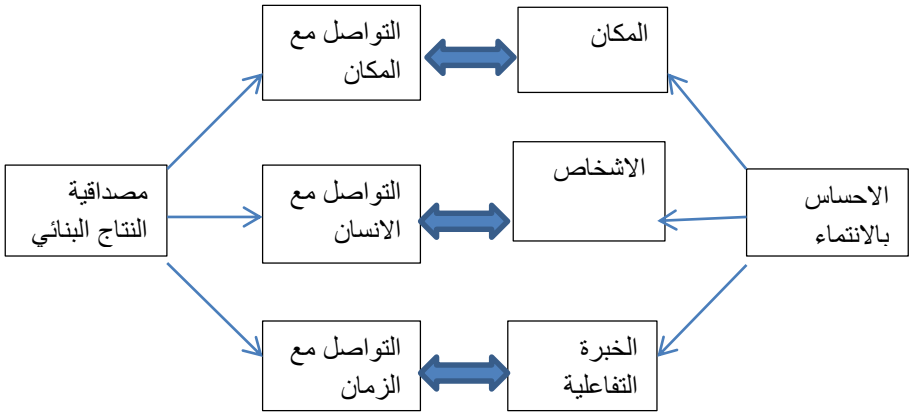

شكل (3): مخطط العلاقة بين الاحساس بالانتماء ومصداقية النتاج البنائي.

(المصدر: الباحث).

(1) لتوضيح هذه النقطة فان العمارة تعمل كسلاح ذو حدين فهي اما ان تطمس ذاكرة المكان واما ان تعمل علي استنطاقها واحيائها، بعض الامكنة يكون لها حضور ايقوني بما جرى عليها من احداث تاريخية ولكن من الممكن ان يعمل المعمار على طمسها (عمارة الحداثة مثلا).

التصميم التشاركي- رؤية معاصرة

يرجع ظهور مفهوم التصميم التشاركي المعاصر Participatory Design (P.D.) والاهتمام به الى فترة الستينات والسبعينات في الدول الاسكندنافية مرتبطا بنشاط الحركات السياسية والمطالبات بالحقوق المدينة. حيث امتد مفهوم الحقوق المدنية الى حق المواطنين في المشاركة في القرارات المتعلقة بتصميم وتخطيط البيئة المبنية التي يعيشون فيها (Goldenberg, 1995). ففي كوبن هاجن فان المباني العامة يجب ان يوافق عليها السكان قبل ان يجري تنفيذها (Kistmann & Keli, 2016: 163)، وقد اظهرت الدارسات الاحصائية انه بعد عشرة سنوات من تطبيق هذا الاجراء فان الادارة العامة للمدينة قد حصلت على 85% من موافقات السكان، كما بينت الدراسات ان المشاريع التي نفذت بمنهجية التصميم التشاركي خلقت احساسا بالانتماء والتملك Attachment & Self-Belonging وقد كان ذلك ملحوظا في مدن مثل لندن ونيويورك وسانتياغو؛ فالمشروعات العامة التي نفذت وشارك السكان في بعض مراحلها لاقت عناية ومتابعة من قبل المشاركين انفسهم بعد تنفيذها Kistmann (& Keli, 2016: 164).

في العقود الاخيرة اخذ التوجه التشاركي في التصميم تسميات ومفاهيم عدة مثل التصميم بالمشاركة Co-design والابداع بالمشاركة co-creation والتصميم التعاوني cooperative design والتفكير في التصميم Design Thinking والتصميم السياقي Contextual Design وهذه المفاهيم يتم تطبيقها عبر مراحل وادوات وتقنيات متنوعة لمعرفة احتياجات المستخدم ودمجها في عمليات استيلاد وتقييم الافكار التصميمية (Sanders, 2002). إن الحرص على مشاركة المستفيدين ضمن مراحل عملية التصميم هو توجه يعتبر جديد نسبيا لإبداع أفكار جديدة من منطلق أن المشاركة اصبحت جزءا اساسيا من بحوث التنمية والتطوير وخصوصا في البيئات المحلية إذ تساعد في الوصول إلى أفضل الحلول وأنسبها لتلك المجتمعات؛ فالتجربة البيئية والخبرة التي لدى المستخدم والتي يكتسبها من خلال تفاعله مع بيئته تكون مصدر الهام للمصمم، فالمصممين يمكن ان يتعرفوا على ذاكرة المستخدمين وخبراتهم وتطلعاتهم المستقبلية؛ فالسماع لما يقوله الناس وما يفكروا به ليس كافيا ولكن المعرفة بما يفعله الناس يقود الى فهم اعمق وهو ما يساعد في الوصول الى صورة عن بيئتهم المستقبلية.

التصميم الغير تشاركي يركز على الدراسة بالملاحظة (ما يقوله ويفكر به المستخدم) ولكن في التصميم التشاركي فان النهج يركز ايضا على ما يفعله الناس وبالتالي فان فهم احتياجات المستخدمين يكون اكثر تعمقا عندما يستند على ثلاثة محاور بشكل متزامن: ما يفكروا به وما يقولونه وما يصنعوه (Sanders, what they think ,what they do what they do 2002). من الممكن ملاحظة ان هذه المحاور الثلاثة التي تركز عليها نظريات التصميم التشاركي المعاصرة هي ما كان متحققا بعفوية في العمران الشعبي من خلال المزامنة بين مراحل عملية البناء (راجع الفقرة 4.2.1 /ج).

التعبير عن اللاوعي وذاكرة المستخدم في التصميم التشاركي المعاصر

في مجال العمارة والتخطيط برزت نظريات تصميمية معاصرة قدمت فهم اعمق يتجاوز هدف تحقيق الكفاءة النفعية في المنتج التصميمي الى هدف التعبير عن اللاوعي وذاكرة المستخدمين وذلك من خلال محاكاة اليات العملية البنائية في العمارة التقليدية وليس الاقتباس الشكلي وابرز هذه النظريات هي:

- (لغة الانساق / النمط Pattern Language)- كريستوفر الكسندر
- (الحلم الجماعي Collective Dream) عبد الحليم ابراهيم

اولا: كريستوفر الكسندر – لغة الانساق / النمط

يرى الكسندر (Alexander, 1979) ان أي مبنى يتألف من مجموعة من الأنساق التي تمثل كلاً متماسكاً تحكمه قواعد فطرية؛ هذه القواعد لا يحتاج الإنسان أن يتعلمها فهي موجودة فطرياً في لا وعيه، حيث يتمكن الإنسان من خلال استخدامه لهذه القواعد أن يصوغ لغة بنائية مشابهة لتلك اللغة التي يتحدث بها؛ وهى ما أطلق عليها The Pattern of Language، فالأنساق تنشأ من خلال حركة الإنسان في سياق تعامله مع البيئة وأفراد الجماعة حيث يقوم بمجموعة من الأنشطة التي تتكرر يومياً؛ وهذا التكرار للأحداث يؤلف نسقاً حدثيا The Pattern of Events، وبتكرارها فإنها تخلق ظروفا وواقعاً Context يتطلب نسقا عمرانيا من الفراغات Pattern of Spaces لاحتوائه، هذه الأنساق (الأنساق الحدثية والعمرانية) هي مفردات اللغة المعمارية التي يتشكل منها المبنى وتتشكل منها التجمعات العمرانية.

ويرى الكسندر أن أنساق البناء متواجدة في اللاوعي وبالتالي فإن التعبير عنها لا يستدعى معرفة الإنسان لهذه الأنساق بالاسم أو التحدث عنها، فهذا ليس أكثر ضرورة من أن نكون قادرين على شرح قواعد اللغة التي نتكلم بها (Alexander, 1979, p.246):

فما يعطل انسياب هذه اللغة من اللاوعي هو إحساس الإنسان بالخوف والرهبة اتجاه التصميم بسبب اعتقاده الخاطئ بأنه لا يعرف ذلك وأن العمل التصميمي هو من شأن المعماري (Alexander, 1979, p.232).

وتقوم منهجية الكسندر في التصميم على ترجمة الذكريات الراقدة في أعماق النفس في صورة فراغات وتشكيلات معمارية، فالمهندس من وجهة نظره هو موجه ومنسق للعملية التصميمية (احمد، 2003)، ففي تصميمه لمستشفى الصحة النفسية في كاليفورنيا طلب الكسندر من المشاركين وهم المستخدمين والملاك إغماض العينين والاسترخاء وإطلاق العنان لتذكر أجمل الأماكن التي ارتبطت بالذكريات الجميلة والراحة النفسية في حياة كل منهم؛ ثم طلب من كل واحد أن يدلي بتعبيراته وتخيله في الواقع (الصاوي، 1994)، وفي تصميمه لاحد المنازل طلب الكسندر من صاحب البيت ان يصف اجمل غرفة مريحة يمكن ان يتذكرها فكان ان صمم الكسندر مركز المنزل عبارة عن مطبخ على الطراز الريفي وذلك بناء على ذاكرة المستخدم للمزرعة التي زارها كصبي في جنوب فرنسا.

شكل (4): منزل من تصميم كريستوفر الكسندر – كاليفورنيا.
Source: https://en.wikipedia.org/wiki/Sala_House

ويرى الكسندر ان لكل ثقافة أنساقا بنائية خاصة تعبر عن أنساق الأحداث الخاص بها، ذلك أن النسق الحدثي للجماعة يقوم على ما تفرضه الثقافة من حلول في عملية إشباع الإنسان الفرد لحاجاته الغريزية والعضوية، وهذه الحلول تتضمن أنشطة وأفعال تحمل ملامح الثقافة الشعبية وما تتضمنه من عادات وتقاليد متوارثة، وبذلك فإن النسق الحدثي للجماعة تحدده الأطر الحضارية للذاكرة _ العادات، التقاليد، الطقوس، المراسم الشعبية ...الخ، وما قام به الكسندر مع جماعة المستخدمين عند تصميمية لمشروع المستشفى هو استكشاف لصور اللاوعي لدى الجماعة المشاركة، وبالتالي فإنه من خلال تمكين الجماعة من المشاركة في العمل التصميمي والتعبير بعفوية عن الأنساق البنائية الكامنة في اللاوعي الجمعي في موقع البناء وبمساعدة المعماري المختص يتمكن المعماري من صياغة مشروعاته معبراً بذلك عن الهوية الحضارية لجماعة المستخدمين.

ثانيا: عبد الحليم إبراهيم - حالة الحلم الجماعي / احتفاليات البناء

يطرح عبد الحليم إبراهيم رؤية مشابهة لنظرية ألكسندر تقوم على أن اللاوعي هو مصدر ومرجعية الإبداع في العمل التصميمي، فهو يجعل العمارة هنا مشابهه للشعر والفن في لحظة الالهام او اللحظة الابداعية، وهي لحظة التوقف التي يعقبها الاستضاءة في الوعي وانكشاف النهج التصميمي وهذا يقع ضمن اعتقاد بحتمية تواجد حالة اللاوعي الجماعي Collective Unconsious لانكشاف النهج التصميمي، وهذا الاعتقاد يقول بان اللاوعي الفردي لا يكون قادرا

على التعبير عن النهج التصميمي الا من خلال التواجد في اطار الجماعة وفي حيز الاحتفالات او الاعياد، وهي اعياد تتمحور حول احداث تتواجد في عملية البناء مثل (تحديد الحدود- وضع الاساسات، التسقيف، الزخارف علي الجدارن ...) حيث تتحدد الرؤية المشتركة للجماعة المشاركة ضمن حالة يسميها الحلم الجماعي (الصاوي، 1994)، والحلم الجماعي كما يصفه عبد الحليم ابراهيم هو منبع الرموز والتي هي كليات تحمل ميلاد المعنى وتربطه بالاعماق السحيقة في حضارات الشعوب ووعيها بوجودها، ومن خلال دراسته لعملية البناء في بعض المجتمعات التقليدية توصل إلى أن احتفاليات البناء التي سادت في تلك المجتمعات تمثل وسيلة تصل بها الجماعة المشاركة في عملية البناء إلى رؤية مشتركة نابعة من مكنونات اللاوعي الجمعي ووجدان الجماعة "إن احتفاليات أو أعياد البناء تصل بالجماعة إلى الحالة المزاجية أو الروحية التي يتمكنوا فيها ليس فقط من إدراك ومعرفة الحلم الجماعي معاً فحسب، بل العيش فيه وتحقيقه في شكل المسكن" (الصاوي، 1994، ص259).

خلاصة واستنتاجات الاطار النظري

ركزت الطروحات في مجال علم النفس على ان الانتماء كإحساس يتولد لدى الفرد من خلال علاقته بمحيطه الحضاري المتمثل في الاشخاص / People والمكان\Place والخبرة التفاعلية The Proces(ذكريات، انجازات، افعال)، كما اشارت الطروحات الى ان مؤشرات صدقية النتاج البنائي في العمران التقليدي تمثلت في التواصل مع الانسان والمكان والزمان وهي تمثل المقررات الثلاثة للإحساس بالانتماء (الانسان، المكان، الخبرة التفاعلية / الزمان) حسب دراسة سكانيل وجيفورد. اما الركائز التي حققت مصداقية النتاج البنائي فقد جاءت من اليات العمران الشعبي نفسه وهي: الرؤى التصميمية (استحضار النموذج البنائي المتوارث والكامن في اللاوعي الجمعي) والعملية التصميمية (تعديل النموذج وفق معطيات الموقع والحاجة) والمزامنة (عدم وجود فاصل زمني بين مرحلة الرؤى التصميمية وعملية التصميمي والعملية البنائية).

هذه الركائز الثلاثة تشكل المنطلق الفكري الذي جاءت منه كل من نظرية الحلم الجماعي ونظرية لغة الانساق، ويوضح الشكل (5) آلية العمران الشعبي بجانبيها الركائز والمؤشرات.

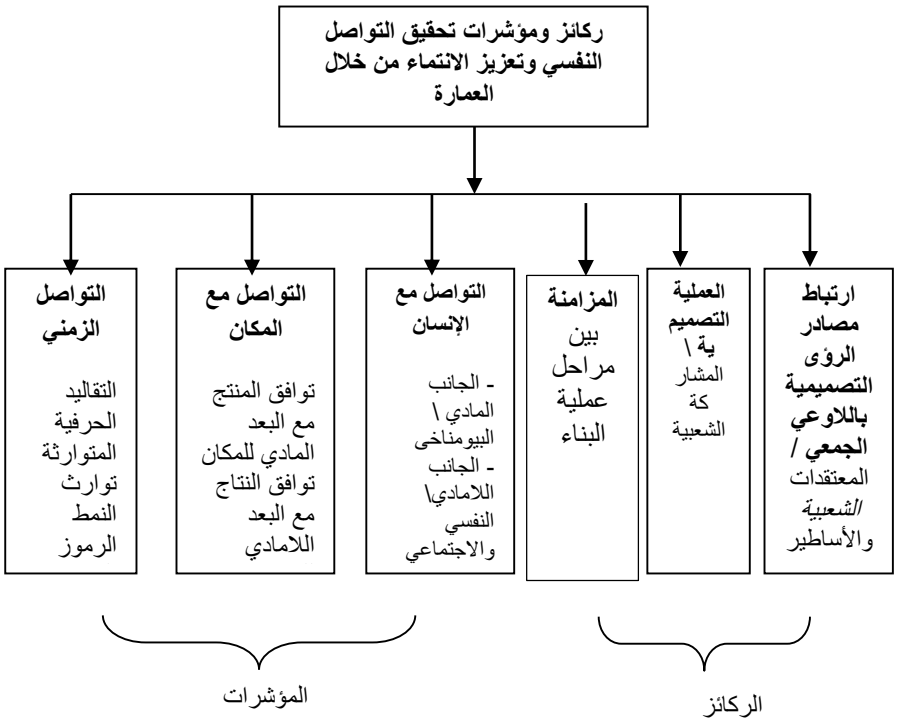

شكل (5): ركائز ومؤشرات صدقية النتاج البنائي وتعزيز الانتماء.

(المصدر: الباحث).

دراسة وتحليل مشروع الحديقة الثقافية للأطفال بحي السيدة زينب للمعماري عبد الحليم ابراهيم

فيما يلي يعرض البحث تحليلا لمشروع حديقة الحوض المرصود وذلك في ضوء المفردات المرتبطة باليات العمران الشعبي (الركائز والمؤشرات) وقد تم اختيار هذا المشروع لكونه يمثل تطبيقا لنظرية الحلم الجماعي والتي حاكى فيها المعماري اليات عملية البناء في المجتمعات التقليدية متجاوزا نهج الاستعارات الشكلية من التراث.

جدول (1): تحليل مشروع حديقة الحوض المرصود للمعماري عبد الحليم ابراهيم.

تعزيز الانتماء وتحقيق التواصل النفسي في حديقة الحوض المرصود – الركائز والمؤشرات		
وصف المشروع	يقع مشروع حديقة الأطفال الثقافية (الحوض المرصود) بالسيدة زينب في مدينة القاهرة، ويحتل موقعاً تاريخياً لحديقة تعود لأيام المماليك كانت تعرف بهذا الاسم، ويحتل المشروع مساحة 12 ألف متر مربع. ويمثل هذا المشروع أحد النماذج المعمارية التي تقوم على محاكاة اليات العملية التصميمية في العمارة التقليدية (السيد، 2001)	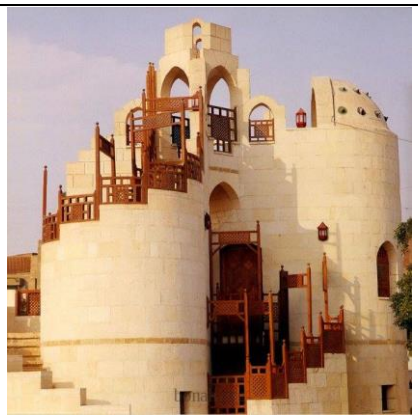
الركائز التصميمية لتعزيز الانتماء وتحقيق التواصل النفسي	مصادر الرؤى التصميمية	الرؤية التصميمية مستمدة من مخيلة ولاوعي الجماعة، فمن خلال احتفاليات البناء والربط بين عملية البناء والإيقاع المتواجد في الحياة والتي تشكل الاحتفاليات والأعياد أحد أركانه ؛ تثار الطاقة التجديدية للتصميم والبناء لدى الجماعة المشاركة،
	العملية التصميمية	تم تنفيذ المشروع على مراحل متتابعة بمراقبة ومتابعة ومشاركة لصيقة من قبل المجتمع المحلي، تم إحضار نماذج خشبية بالحجم الحقيقي للمنشآت المعمارية ذات المقياس المتواضع وإحلالها بمواقعها حسب التصميم، وتم البناء على مراحل؛ كل مرحلة هي تمهيداً للاحقتها كحلقة ضمن سلسلة متتابعة إلى أن أكتمل المشروع (السيد، 2001)، وقد اعتمدت العملية التصميمية في إنجازها على المراقبة الدقيقة من المصمم المعماري حيث تتطلب عملية كشف الإيقاع من المصمم الإحساس والشعور بمصادر الرؤى التصميمية لدى الجماعة وهي: الأسطورة/ المعتقدات الشعبية والدورات الناظمة للإيقاع وهذه تدرك بالملاحظة والمراقبة. - الشعائر والطقوس و تدرك عبر المشاركة. - الاحتفالية تربط كل ما سبق، حيث تدرك خلال المراقبة والمشاركة في عملية البناء (الصاوي، 1996)

	المزامنة		تمت المراحل الثلاث لعملية البناء في ارض الموقع وباستخدام العصى والحبال ومجسمات الورق وكان التعديل يجرى على ارض الموقع بأشراف من مهندس المشروع
مؤشرات تعزيز الانتماء وتحقيق التواصل النفسي \ صدقية التعبير	**المفردة الرئيسية**	**المفردة الثانوية**	
	التواصل مع الانسان	ملائمة المنتج للحاجات المادية للمستعملين	التصميم تمت صياغته عبر مشاركة المستخدمين، فهو يحقق بذلك رغباتهم واحتياجاتهم المادية،
		ملائمة المنتج للحاجات اللامادية للمستعملين	تكفل المشاركة الشعبية للمستخدمين التعبير عن تطلعاتهم واحتياجاتهم النفسية والروحية، استخدم المصمم آلية احتفاليات البناء ليعبر المستخدمين بحرية وعفوية عن رغباتهم دون مخاوف او احساس بعدم الثقة في مقترحاتهم ،كان دور المصمم هو رصد الايقاعات والاحداث علي ارض الموقع وترجمتها الي برنامج وظيفي وخطوط اولية شكلت مرجعا للغة التشكيل التي برزت في التصميم
	التواصل مع المكان	التواصل مع الطبيعة والبيئة المبنية	ابقى المصمم علي صفوف اشجار النخيل في الموقع وتمت محاكاة التصاعد الحلزوني الرأسي الذي تعكسه منارة جامع ابن طولون
		التواصل مع ذاكرة المكان	المشروع هو اعادة احياء للحديقة القديمة من زمن المماليك في الموقع نفسه، وهو بذلك استعاد ذاكرة المكان وما جرى عليه من انشطة بالإبقاء علي الوظيفة نفسها .
	التواصل مع الزمان	تواصل مع الذاكرة الجماعية	نفذ المشروع عبر مشاركة جماعية تستعيد طقس احتفاليات البناء المتوارث في الذاكرة الشعبية، تعمد المصمم توظيف مفردات من مخزون الذاكرة البصرية المرتبطة بالحقبة المملوكية مثل الاشكال الحلزونية وعناصر ومفردات تذكر بالتقاليد والحرف المتوارثة مثل أعمال الخشب والأرضيات.
		تواصل مع التقاليد البنائية	استخدمت الحرف اليدوية في المشروع مثل اعمال النقش والحفر على الخشب والحجر والنحاس وكذلك استخدام المشربيات الخشبية
		تواصل مع الرموز التاريخية	الرموز التاريخية هنا ممثله في شكل المئذنة كرمز دال على حقبة من التاريخ الاسلامي

مناقشة وتعقيب

مع اهمية طروحات كل من الكسندر وابراهيم الا ان السؤال الذي يبرز هو مدى امكانية التطبيق على ارض الواقع في المدن الكبرى ذات التعددية الثقافية والعرقية، فقد بينت البحوث ان من ابرز المشكلات التي تواجه التصميم التشاركي صعوبة التوصل الى توافق في الاماكن التي لا يوجد بها تجانس ثقافي، كما ان هناك صعوبة في التطبيق على المجتمعات التي لا يتوفر فيها مناخ ديمقراطي اضافة الى مشكلة قلة خبرة المشاركين والتي قد يترتب عليها بطء التنفيذ وصعوبة ادارة المشاريع (Hamdi 1991, p. 83- 84, Gillick 2013, p. 48, Lyones, 2001) ، ويضاف الى ذلك ان طريقة المجسمات الورقية والحبال والعصي على ارض الموقع لا يمكن لها ان تكون نموذجا تقريبيا لقياسات المباني العامة الضخمة، فصلاحية تطبيق تلك النظريات تبقى محدودة في نطاق تصميم البيوت السكنية الصغيرة وتصميم الفراغات العامة في المجتمعات التي تتسم بالتجانس الثقافي والاجتماعي، ويرى البحث ان امكانية الاستفادة من نظرية الحلم الجماعي ولغة الانساق هي في اقتراح نهج تصميمي يلاءم المجتمعات المركبة وذلك بمحاكاة الكيفية التي يتمكن فيها المستخدمين من التعبير عن بواطن ذاكرتهم الجمعية وتحقيق الالتحام العضوي بين مصادر الرؤى التصميمة وعملية التصميم والعملية البنائية (المزامنة)، وهو ما حقق مصداقية التعبير في العمران الشعبي وعزز الاحساس بالانتماء، ومن هنا فان جوهر عملية تطوير النهج التصميمي المقترح للمجتمعات المركبة يكمن في تحقيق هذ الالتحام بوسائل حديثة ومعاصرة مثل وسائل التواصل الاجتماعي والفيديوهات واجراء المسح والاستبيانات من خلال الشبكة العنكبوتية. ان التعبير عن الذاكرة الجمعية وبواطن اللاوعي عند المستخدمين يعتبر امرا ليس يسيرا في ظل الحياة المعاصرة والانشغال بالمتطلبات المادية، لذا من الممكن اقتراح مشاركة الشعراء والادباء في العملية التصميمية نظرا لكونهم يملكون القدرة علي تمثيل رؤى الجمهور والتعبير عن مكنونات وعيهم واحاسيسهم.

نتائج البحث

- ان تحقيق المصداقية في النتاج البنائي يعزز الاحساس بالانتماء؛ فالمؤشرات الثلاثة لمصداقية النتاج البنائي المتمثلة في التواصل مع الانسان والمكان والزمان تشكل المقررات الثلاثة للإحساس بالانتماء: الانسان والمكان والخبرة التفاعلية.
- تمثل المشاركة الشعبية اداة فاعلة في خلق بيئات عمرانية تعزز الاحساس بالانتماء والتواصل النفسي، وان اكثر ما يميز العمارة التقليدية هو ان مصادر الرؤى التصميمية نبعت من اللاوعي الجمعي ومخيلة الجماعة.
- ان طروحات كل من كريستوفر الكسندر وعبد الحليم ابراهيم رصدت الركائز التي كفلت للعمارة التقليدية مصداقيها وكفاءتها التصميمية واستلهمت منهجيات التصميم من اليات العمران الشعبي وعلي وجه التحديد التصميم التشاركي بمعناه الاوسع والذي تنفذ فيه عملية التصميم الي بواطن اللاوعي الجمعي ومخيلة المستخدمين اضافة الى تبني آلية المزامنة بين

مراحل العملية البنائية (مرحلة استشراف الرؤى التصميمية، العملية التصميمية، التنفيذ والبناء)، حيث تتم مشاركة المستخدمين في اطار عملية تنامي وتفاعل حي بين الفكرة التصميمية ومعطيات الموقع.

- ان المساهمة في التخفيف من مشكلات الاغتراب وضعف الاحساس بالانتماء والتواصل النفسي في المجتمعات العمرانية المركبة يتطلب من المعماريين والمخططين اعادة النظر في منهجيات التصميم المطبقة علي تلك المجتمعات وتطويرها بحيث تسمح بالمشاركة الشعبية الفاعلة للمجتمع بمكوناته الثقافية المختلفة عبر الوسائل التي توفرها تكنولوجيا التواصل المعاصرة لإبداء الراي ومتابعة ما يصاغ في بيئتهم العمرانية.

استراتيجية التصميم التشاركي المقترحة لتطوير العملية التصميمية الخاصة بالمشروعات العامة في المدن الكبرى والمجتمعات المركبة

تنقسم هذه الاستراتيجية إلى ستة مراحل متتاليه:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل التصميم – تحديد جسور الصلة للتواصل مع المستخدمين والمكان والزمان.

1. استكشاف قنوات التواصل مع المستخدمين: وفى هذه المرحلة يقوم المصمم/ فريق التصميم بالتعرف على ميول واحتياجات جماعة المستفيدين المادية واللامادية من خلال استمارات الاستبيان الورقي والالكتروني والتعرض للمفاهيم والأطر الحضارية والثقافية والخصائص المميزة لها اضافة الى رصد وتدوين أكثر الأماكن والأحداث والأنشطة المطبوعة في ذاكرتهم الفردية أو تلك التي تناقلت إليهم من أباءهم وأجدادهم، كما يتم رصد هذه النماذج من خلال تحليل القصص الشعبية وأحداثها وما يرتبط بها من أمكنة جرت عليها الأحداث ومن الممكن أن يشارك في هذه المرحلة الشعراء والفنانين والمؤرخين في مساعدة المعماري في سبر اغوار بواطن الذاكرة لدى المستخدمين.
2. استكشاف قنوات التواصل مع المكان: يتم دراسة المكان بخصائصه المادية (طبوغرافية الأرض، المناخ، المناطق المحيطة به، مواد البناء المتوفرة به) ومن ثم دراسة العناصر المشكلة لروح وذاكرة المكان وذلك من خلال التشاور والمحاورة مع الجهات الممثلة للمستخدمين (رؤساء احزاب ومنظمات غير ربحية، المثقفين والمهتمين بالشأن العام Stakeholders)، حيث يسجل فريق التصميم الأحداث والقصص التي جرت على المكان والتي ارتبطت بذاكرة السكان وأصبحت جزءاً من المخزون الثقافي، كما يتم رصد مفردات هوية المكان (خط السماء، بؤر تجمع حضري، عناصر طبيعية وعمرانية ذات تأثير في القيمة الجمالية والروحية للمكان ..الخ).
3. استكشاف قنوات التواصل مع الزمان / التواصل الزمني: التعرف على التقاليد الحرفية البنائية المتوارثة لدى الجماعات المشكلة لمجتمع المدينة وكذلك تحديد وتسجيل الرموز المعمارية

والزخارف ذات الصلة بالذاكرة بالإضافة إلى تحديد مواد البناء المحلية التي يسهم استخدامها في تعميق البعد التاريخي في المبنى.

المرحلة الثانية – المسابقة المعمارية

وفى هذه المرحلة يقوم فريق التصميم بإعداد المسابقة المعمارية: تجهيز وثائق المسابقة والتي تشتمل على معلومات وصور توضح النماذج الأصلية المحببة للمستخدمين، حيث يتم عرض هذه النماذج دون تقييد المتسابقين بكيفية توظيفها في المشروع، كما تتضمن اشتراطات وإرشادات توجيهه للمتسابقين ترتكز على نتائج استمارات الاستبيان والمحاورات التي تم إجرائها مع المستفيدين؛ وذلك بهدف تمكين المتسابقين من تحقيق التواصل مع الإنسان / المستخدمين والمكان والزمان.

المرحلة الثالثة: مرحلة اختيار المشروع الفائز

وفى هذه المرحلة يتم مناقشة التصميم مع جماعات المستفيدين حيث يتم تقديم صورة شاملة عن المشروع باستخدام المجسمات واللقطات المنظورية وفيديوهات توضح مسارات الحركة الخارجية والداخلية باستخدام برمجيات التصميم واعطاء صورة مقربة للمشروع للجماعات المستفيدة وعرضها عبر قنوات التواصل الاجتماعي والتصويت لاختيار المشروع الفائز.

المرحلة الرابعة: التعديل والتطوير

تتم مناقشة المشروع الفائز مع ممثلي المجتمع وفئة الفنانين والشعراء وتعديله بعد مشاورات بين المعماري المصمم والمستخدمين وبإشراف الجهة المالكة للمشروع (الدولة أو السلطة المحلية).

المرحلة الخامسة: تنفيذ المشروع

وفى هذه المرحلة لا يشارك المجتمع المحلى إلا من خلال ممثليه حيث تقتصر المشاركة على المتابعة والمراقبة.

المراجعة والتطوير

تقوم الجهة المالكة والمصمم بتقييم مدى رضا المستخدمين عن المشروع بعد إتمام تنفيذ والاشغال، حيث تؤخذ الملاحظات كتغذية راجعة بهدف التطوير للمشروعات المستقبلية.

جدول (2): الخطة المقترحة لتطوير عملية التصميم في المجتمعات العمرانية المركبة.

المراحل	وصف الفاعلية	الأطراف الفاعلة Main Actors					مجال العمل والادوات
		المعماري	الجهة المالكة للمشروع	مثقفين /شعراء وفنانين وكتاب	وزارة الثقافة الإسكان التخطيط	نقابة المهندسين والمؤسسات الغير ربحية	
المرحلة الأولى	مرحلة استكشاف النماذج العليا في الذاكرة الجمعية وتحديد قنوات التواصل مع المستخدمين والمكان والزمان	●	○	●	◎	○	المقابلات، استمارات الاستبيان الورقي والالكتروني
المرحلة الثانية	إعداد وثائق المسابقة المعمارية	○	●	○	◎	○	المكتب
المرحلة الثالثة	التحكيم واختيار المشروع الفائز والتطوير والتعديل	○	●	●	◎	●	المكتب ومواقع التواصل الاجتماعي
المرحلة الرابعة	التعديل والتطوير	●	◎	●	○	◎	المكتب والموقع
المرحلة الخامسة	تنفيذ المشروع	●	●	◎	○	○	الموقع
المرحلة السادسة	التقييم والتعديل والتغذية الراجعة	●	●	●	◎	◎	الموقع

●	مشاركة مباشرة	◎	مشاركة ضمنية	○	لا يوجد مشاركة

التوصيات

- توجيه العملية التعليمية في أقسام العمارة بالجامعات نحو الاهتمام بالسياق الاجتماعي الثقافي للعمارة التقليدية Socio-cultural Context of Vernacular Architecture ودراسة إمكاناتها في تعزيز الاحساس بالانتماء والتواصل النفسي وذلك في ظل ما تمليه الحياة المعاصرة والانماط المعمارية المستوردة من تكريس للتفكك الاجتماعي والاغتراب النفسي.
- تنظيم المسابقات المعمارية للمباني والفراغات العامة في المدن وبما يؤمن البحث عن النماذج العليا في ذاكرة المدينة والمشترك الثقافي لسكانها وتجسيدها في النتاج البنائي.
- مشاركة المستخدمين في العملية التصميمية وتفعيل دور الشعراء والادباء والفنانين في صياغة صورة المدينة وبيئتها العمرانية وذلك من خلال مشاركتهم في اعداد شروط المسابقات المعمارية للمباني والفراغات العامة ولجان الحكم جنبا الي جنب مع مشاركة السكان وطرح تلك المسابقات للتصويت عبر وسائل التواصل الاجتماعي والانترنت.

References (Arabic Bibliography

- Abu Obaid. (1999). *The Continuity between Architecture and Society*; The Arab Future; The Center for Arab Unity Studies, No. 248, Lebanon, Beirut.
- Alexander, C. (1979). *The Timeless Way of Building*, Oxford University Press, New York.
- El-Sawy, Ali. (1994). *Dynamics of Vernacular and Formal Architecture – A design Approach for Traditional Communities*. Unpublished Ph.D. Thesis, Cairo University, Faculty of Engineering.
- El-Sawy, Ali. (2004). *Vernacular Architecture - The Problem of Term and themes*, A Paper Presented to the Conference on Architecture and urban design on the Third Millennium, Faculty of Engineering, Cairo University.
- Al-Sayed, W., El Houd El Marsoud. (2001). A Cultural Park for Children in the Heart of Cairo, Middle East Newspaper, No. 8227, June 7, 2001, Retrieved from: https://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=8070&article=41685#.XQl5VYhvbIV
- Atchley, R. (1989). *A continuity theory of normal aging*. The Gerontologist, 29, 183-190.
- Barghouthi, Hussein Jamil. (1996). *Reviewing the Book of Postmodern Case*, Ugarit, No. 1.
- Coch, H. (1998). *Bioclimatic in vernacular architecture*. Renewable and Sustainable Energy Reviews 2: 67-87.
- FRIED, M. (2000). Continuities and discontinuities of place. *Journal of Environmental Psychology*, 20: 193-205.

  https://doi.org/10.1006/jevp.1999.0154.

- Gillick, A. (2013). *Synthetic Vernacular the Coproduction of Architecture*, Ph.D. Thesis, Faculty of Humanities, University of Manchester, pp. 48-49, Retrieved from: https://www.research.manchester.ac.uk/portal/files/54541758/FULL_TEXT.PDF.
- Goldenberg, A. (1995). *Participatory Design*. Retrieved June 15, 2013, from: http://ijaud.srbiau.ac.ir/article_8339_47703dce2ed5f9ebcac51ce275b56d74.pdf.
- Hamdi, N. (1991). *Housing without houses – Participation*, Flexibility, Enablement. Van Nostrand Reinhold, New York. Retrieved from: https://www.developmentbookshelf.com/doi/abs/10.3362/9781780442341.
- Harvey, David. (2005). *The Postmodern Case, An Inquiry into the Origins of Cultural Change*, Translated by Mohammed Shea, The Arab Organization for Translation, Beirut, First Edition.
- Helles, Ahed. (2009). *The Death of the Architect: Towards a Flexible Language of Architectural Expression that Responds to the Reality of Postmodern Cities*. Fifth International Scientific Conference, New Attitudes: Expression and Beyond Architectural and Urban Expression, Faculty of Engineering, Cairo University.

  http://charleslandry.com/panel/wp-content/uploads/downloads/2013/04/The-Intercultural-City.pdf.
- Jasser J. A. (2003). *Construction for Traditional Communities*. Ph.D. Thesis, Unpublished Research, Cairo University.
- Khayat, M. A. (2001). *Architectural norms - a study in the structure of Essence*. Ph.D. thesis, Department of Architecture, University of Technology, Baghdad.

- Kistmann, M. & Keil, V. (2016). The Sense of Belonging: Emotional Aspects in Participatory Design in Relation to Products and services for Cities. *Strategic Design Research Journal*. *9*(3): 163-171, Doi: 10.4013/sdrj.2016.93.04, Retrieved from: https://www.researchgate.net/publication/324728636.
- Krang, Mike. (2005). *Cultural Geography: The Importance of Geography in the Interpretation of Human Phenomena*, Said Muntaq, The World of Knowledge Series, Kuwait.
- Lyons, M., C. Smuts, *et al*. (2001). *Participation, Empowerment, and Sustainability: (How) Do the Links Work?* Urban Studies *38*(8): 19. https://doi.org/10.1080%2F00420980125039
- Manzo, L.C.; Devine, P. (2013). *Place attachment: advances in theory, methods, and applications*. New York, Routledge, p. 1-8.
- Phil W. C., & Jude B. (2006). *The Intercultural City Making the Most of Diversity*, Rowntree Foundation, Uk.
- Rapport, A. (1969). *House form and Culture*, Prentice-Hall, N.J.P.58
- Retrieved from: https://www.researchgate.net/publication/282332731
- Robinson, J. (2006). *Ordinary cities: Between modernity and development*. London &New York, Routledge.
- Sanders, E. B. N. (2002). *From user-centered to participatory design approaches*. Design and the social sciences: Making connections, 1-8
- Scannel, L.; Gifford, R. (2010). The relations between natural and civic place attachment and pro-environmental behavior. *Journal of environmental psychology*, *30*(3): 289-297.
- https://doi.org/10.1016/j.jenvp.2010.01.010, Retrieved From:

  https://www.researchgate.net/publication/222781911.
- Sedikides, C., Wildschut, T., Cheung, W.-Y., Routledge, C., Hepper, E. G., Arndt, J., Vingerhoets, A. J. J. M. (2016). *Nostalgia fosters self-*

continuity: Uncovering the mechanism (social connectedness) and the consequence (eudemonic well-being). Emotion, 16, 524-539. DOI:10.1037/emo0000136

- Vellinga, M. (2005). *Anthropology and the challenges of sustainable architecture*, Anthropology Today *21*(3).
- Young, K. G. *et al*. (1984). *Human and its Symbols*, translated by Ali Samir, publications of the Ministry of Culture and Information, House of Public Cultural Affairs, Baghdad.